



خطبة صلاة الجمعة 24/6/2022 للشيخ الطيب محمد خير الشعال, في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(في صحن الكعبة)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليته، خيرُ نبيِّ اجتبا، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْغُرْبَاءِ حَرَامًا قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقُلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: 97].

أخرج البخاري ومسلم عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ مَبَارَكًا يُصَلَّى فِيهِ: الْكَعْبَةُ، قلتُ: ثم أيُّ؟ قال: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، قلتُ: كم كان بينهما؟ قال: أَرْبَعُونَ عَامًا».

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى» وفي رواية مسلم: «إِنَّمَا يُسَافَرُ إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ، وَمَسْجِدِي، وَمَسْجِدِ إِبِلْيَاءَ».

عنوان خطبة اليوم: في صحن الكعبة

أيها الإخوة:

في مثل هذه الأيام من كل عام تحفو قلوب المسلمين للذهاب إلى البلد الأمين، وتحن أرواح المحبين للطواف بالبيت العتيق، وتتوارد ذكريات الكعبة وميزابها، وحجرها وشادرواتها، وصحنها وثوبها، وبابها وملتمزها.

يشد الحجيح رحالهم، وتحمل مهجهم أشواقهم، وتغد المطي سيرهم، نشيدهم التلبية، وقصيدهم التسبيح، ودعاؤهم التهليل، ونداؤهم التكبير.

وقد أحببت في خطبة اليوم أن أحدثكم عن صحن الكعبة حيث يطوف الطائفون ويلتقي العابدون ويجتمع القراء والحفاظ والفقهاء والعلماء والأولياء والذاكرون.

أحببت أن أحدثكم عن صحن الكعبة حيث وقف سيدنا إبراهيم وإسماعيل وطاف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته أجمعين، فلعل القدم تقع موضع القدم ولعل النعل يأتي حذو النعل. أحببت أن أحدثكم عن صحن الكعبة حيث تسكب العبرات وتلهج القلوب والأرواح بالدعوات وتصفو النفوس والقلوب وتعذب الكلمات.

أحببت أن أحدثكم عن صحن الكعبة منذ رفع إبراهيم قواعد الكعبة وإلى يومنا هذا. نسأل الله تعالى أن يجمعنا في فنائها، وأن نصلي في صحنها، وأن نلتقي في مطافها، وأن تمس وجوهنا وصدورنا وملتمزها.

أيها الإخوة:

- في صحن الكعبة - وقبل أن يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل - ترك إبراهيم إسماعيل وأمه هاجر بوادٍ غير ذي زرع.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: الله الذي أمرك بهذا؟ قال نعم، قالت: إذن لا يضيعنا.

ولم يضيع الله إسماعيل وأمه لما التزموا أمر الله وأطاعوه فتفجرت عن رجل إسماعيل زمزم ماء معيناً وجعل الله أفئدة الناس تهوي إليهم.

- في صحن الكعبة - وقبل أن يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل - قال إبراهيم عليه السلام لإسماعيل: يا إسماعيل، إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك ربك، قال: وتعينني؟ قال: وأعينك، قال: فإن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتاً، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، قال: فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء، جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه، وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: {ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم}.

- في صحن الكعبة لقي النبي صلى الله عليه وسلم أول ما نزل عليه جبريل ورقة بن نوفل وكان قد تنصر وقرأ الكتب، فقال له: أخبرني بما رأيت وسمعت، فأخبره، فقال: والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ولتكدِّبَنَّهُ ولتؤذَنَّهُ ولتُخْرِجَنَّهُ ولتُقاتِلَنَّهُ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصُرَن الله نصراً يعلمه، ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه.

- في صحن الكعبة شقَّ صدره صلى الله عليه وسلم وغُسل قلبه بماء زمزم وملئ حكمة وإيماناً، ثم عُرج به صلى الله عليه وسلم إلى السماء.

أخرج الإمام النسائي في الكبرى عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: بينا أنا نائم عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتيت بطست من ذهب ملئ حكمة وإيماناً، فشُقَّ من النحر إلى مَرَأَق البطن، فغُسل القلب بماء زمزم، ثم ملئ حكمة وإيماناً، ثم أُتيت بدابة، ثم انطلقت مع جبريل فأتينا السماء الدنيا فقبل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد عليه السلام، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال نعم، قيل: مرحباً به ونعم المجيء جاء،... إلى آخر الحديث.

- في صحن الكعبة الصلاة بمائة ألف صلاة ففي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه» (البيهقي).

وفي صحن الكعبة من جلس فهو آمن لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من دخل المسجد الحرام فهو آمن» (أبو داود).

- في صحن الكعبة أعلن سيدنا حمزة رضي الله عنه إسلامه.

روى ابن إسحاق عن رجل من أسلم، أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا، فأذاه وشتمه، فلم يكلمه النبي صلى الله عليه وسلم، ومولاة لعبد الله بن جدعان، تسمع، فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحاً قوسه، راجعاً من قنص له، وكان أعز فتى في قريش، وأشدّه شكيمة، فلما مر بالمولاة قالت له: يا أبا عمار ما لقي ابن أخيك آنفاً من أبي الحكم، وجده

ههنا جالسا فأذاه وسبه وبلغ منه، ولم يكلمه محمد. فاحتمل حمزة الغضب، فخرج يسعى مغذا لأبي جهل، فلما رآه جالسا في القوم أقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس، فضربه بها، فشججه شجة منكرة، ثم قال: أتشتمه! فأنا على دينه أقول ما يقول، فردد علي ذلك إن استطعت، فلم يستطع أبو جهل أن يرد عليه شيئا.

- في صحن الكعبة أودى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصير.

أخرج البخاري بسنده عن عروة، قال: سألت عبد الله بن عمرو قلت: حدثني بأشد شيء صنعته المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: أقبل عقبة بن أبي معيط والنبي صلى الله عليه وسلم يصلي عند الكعبة، فلوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه، فدفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: **(أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ)** [غافر: 28].

- في صحن الكعبة شكا الصحابة للرسول ما يجدون من عذاب قريش فصبرهم.

أخرج الشيخان عن خباب قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برده في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: يا رسول الله ألا تدعو الله؟ فقعد وهو محمر وجهه فقال: **«إن كان من كان قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله عز وجل»**.

- في صحن الكعبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش يوم فتح مكة: **«ما تقولون وما**

تظنون أي فاعل بكم؟ قالوا: نقول: ابن أخ وابن عم حليم رحيم، فقال: **«أقول كما قال يوسف: ﴿لَا**

تُزَيِّبُ عَلَيْكَ الْيَوْمَ يُغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: 92]، قال: فخرجوا كما نشروا من القبور، فدخلوا في الإسلام.

- في صحن الكعبة لقي الخليفة هشام بن عبد الملك التابعي الجليل سالم بن عبد الله.

قال ابن عيينة: دخل هشام الكعبة، فإذا هو بسالم بن عبد الله، فقال: سلني حاجة، قال: إني أستحيي من الله أن أسأل في بيته غيره، فلما خرجا، قال: الآن فسلني حاجة، فقال له سالم: من حوائج الدنيا، أم من حوائج الآخرة؟ فقال: من حوائج الدنيا، قال: والله ما سألت الدنيا من يملكها، فكيف أسألكها من لا يملكها.

- في صحن الكعبة كتب شعراء الحب الإلهي قصائدهم ونظموا قوافيهم

كتب الشيخ جابر البغدادي في صحن الكعبة:

تفرّد بالتسييح جل جلاله	فسبحان من بالروح قدّس طينتي
وزيّن مشكاتي بأنوار قدسه	وقدّس بالعرفان رمز زجاجتي
وأرضاه بالإعطاء والمنع موقنا	فيجعل عين المنع عين عطيتي
يناشده سري بفيض مدامعي	فيسعف بالألطف وابل دمعتي
أنادي يليني وأدعو يجيني	وأحتاج مفتقرا يجود لفاقتي
ويستر علاقي بود لطائف	يبدل بالغفران قبح مذلي
فسبحان جّواد يجود بلا ضنى	وأغرقني بالود من قبل نشأتني
وتغنيه عبراتي خطاب عبارتي	ويسري في سري جواب إشارتي
رقيب يطالعي فأعصي جهالة	فتسبق رحماه مظاهر شقوتي
فإن رفع الأستار أسمع ما أرى	يسبح بالتوحيد حمدا بحضرتي

أيها الإخوة:

هذا شيء من الحديث عن المطافِ صحنِ الكعبة، ولئن كان لذلك المكان وتلك البنية مزايا الجلال والجمال والحرمة تلك فإن الله جعل المؤمن أعظم حرمة.

أخرج الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: قال: «صعد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المنبر، فنادى بصوت رفيع، فقال: "يا معشرَ مَنْ أسلم بلسانه، ولم يُفَضِّ الإيمانُ إلى قلبه، لا تُؤذُوا المسلمين، ولا تُعَيِّرُوهم، ولا تَتَّبِعُوا عوراتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عورةَ أخيه المسلم، تَتَّبَعَ الله عورَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ الله عورَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ"، قال نافع: ونظر ابنُ عمرَ يوماً إلى الكعبة، فقال: ما أعْظَمَ وأعْظَمَ حُرْمَتُكَ، والمؤمن أعظمُ حرمة عند الله منك».

والحمد لله رب العالمين